

الرسالة

بجدة أسبوعية تهذيبية للعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ محمد العزيز الدوري



8me Année No. 355

Lundi - 22 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

- ٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الإقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في العراق بالبريد السريع  
١ عن العدد الواحد  
الاعهونات  
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للدراسات والبحوث

ARRISSALAH  
Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المستول  
أحمد الزيات  
الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤  
جديدن - القاهرة  
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٥٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ ربيع أول سنة ١٣٥٩ - الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٠ » للسنه الثامنة

## النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز الدروزي



أكثر الكتاب والمؤرخون في سرد الواقع ، ووصف أوجه القصور وعظمة السلطان ، وجعلوا التاريخ سلسلة حوادث متفرقة متباعدة ، وأغفلوا التيارات الاجتماعية التي كان لها أكبر الأثر في سير التاريخ ، يظهر هذا خاصة في التاريخ الإسلامي . ثم تنبه بعض المستشرقين لذلك ، وحاولوا أن يبدؤوا بعض هذا الفحص . ولدينا في هذه الرسالة ( النقابات الإسلامية ) عرض عام لنتيجة البحوث من أهل الصناعات والحرف في الإسلام . وقد ترجمت هذه الرسالة لأنها تعطي انقاراً العربي فكرة من نظر بعض المستشرقين إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ الإسلامي . وقد نشرنا هذه الرسالة في مجلة

Economic History Review, vol. VIII, No. 1937

ولكن النص العربي يعرض إضافات وسلاسل لم تنشر هناك ، وهي النتائج الأخيرة لأبحاث المؤلفين عن الموضوع ؟ إذ تشمل إسهامات كثيرة . ( ع . د )

إن طوائف أهل للصناعات والحرف هي من أهم ظواهر الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى .

يتدر أن يجد الإنسان أولاً لسانه اسميه روحاً مدنية ( نسبة إلى مدينة ) ، أو تنظيمياً بلدياً ( نسبة إلى بلدية ) في البلاد الإسلامية فقد كانت المدن الإسلامية في القرون الوسطى وفتية القاهرة على الأغلب ، تتمتع بازدهار تجارى أو ثقافى لمدة قرن أو نحو قرن ، ثم تتضائل أو تختفى . وهذا نادر وجود طوائف بلدية مميّنة ، أو وحدات متحضرة داخلة . إذ أن روح التكافل والتنظيم الحلى التي كان لها أهمية كبرى في أوروبا في القرون الوسطى ، منمت من التطور في الحقل السياسى بتأثير الأوضاع السياسية المضطربة في البلاد الإسلامية . وسيمت تلك الروح لأن تجد لها منفذاً في الحياة الاقتصادية . وهكذا نجد في أسنان الحرف في الإسلام ما يساوى تلك الحياة المحلية القومية التي هي من أبرز مظاهر تاريخ أوروبا في القرون الوسطى .

كانت النقابة مهمة في الحياة الإسلامية لدرجة أن تخطيط

المدينة — التي كانت تبنى على أساس سوق تجارية — كان يقرر في كثير من الأحيان حسب حاجات أصحاب الحرف . فترى أن المدن الإسلامية من سمرقند إلى جاوة ظهرت بتأثير عيب متمركزة حول ثلاث أو أربع تقاطع أساسية

فأول نقطة ثابتة هي سوق الصرافين ، وهو مركز هام دائماً في النظام الاقتصادي الثنائى الأساس في العملة ، كما كانت الحال في البلاد الإسلامية في القرون الوسطى

ونجد حواله جامى المكوس ، ثم دار الضرب ( إن وجدت هناك واحدة ) ، ثم سوق الزايدة ، ثم الخنثب وهو ملاحظ الأسواق . وهنا نجد الجمالين أيضاً

والمرکز الثاني هو القصيرة — وهي بناءة محكمة تخزن فيها البضائع والغنائس الأجنبية ويحتمل أن يكون الاسم يترنلى الأصل . والمرکز الثالث هو سوق النزل — حيث يأتي النساء لبيع إلتافهم اليدوى . وهنا ترى التماثل بالحاجات التي يشتريها النساء كالتصايب واللبازين وبأشياء الخ ...

والمرکز الرابع هو الجامعة أو المدرسة . وهي ملحقة عادة بمسجد ، وفيها يكون الطلبة والأساتذة نظام نقابة حقيقية . ويشتمل أهل الحرف حول هذه المراكز الأربعة ، كل صنف في سوقه الخاص . ويلاحظ من هذا أن توزيع النقابات يتبع هذا النظام في المدن المختلفة حيث توجد هذه المراكز الأربعة . دعنا الآن ننظر في منشأ هذه النقابات ، وهو بحث يلاحظ فيه أنه لم يتقدم بالقدر الكافى

هناك رأى يقول بأن هذه النقابات هي متممة للنقابات البيزنطية التي سبقها ، إذ كانت توجد نقابات متعددة في المقاطعات البيزنطية كسوريا ومصر حتى القرن السابع الميلادى . وليس من المحتمل أنه قضى عليها من قبل الفاتحين العرب الذين كانت سياستهم كما نلم ترك الهيئات الإدارية والاقتصادية التي خلقها البيزنطيون كما كانت عليه تقريباً . ومع ذلك لا ترى أية إشارة إلى وجود نقابات إسلامية قبل القرن العاشر الميلادى ؟ أى يمد ثلاثة قرون ( من بدء الفتح ) ، كما أن هذه النقابات كانت من نوع يختلف تماماً عن النقابات الموجودة قبل الفتح الإسلامى . وليس لدينا إلا ملاحظات قصيرة متقطعة ( عن النقابات ) خلال

مذهب الطليقات العامة، وكلما ازدادت دراسة الباحث في الأدب الإسلامي في القرون الوسطى ازداد الانصاح من أن المذهب الذي كان ينظر إليه في كل عمل كدين طبقة مسيطرة، دين الدولة وميزة الأرستقراطية العربية الحاكمة<sup>(١)</sup> وقد كانت هذه نظرية الفاتحين أنفسهم في الأدوار الإسلامية الأولى، ولقد كانت الأكرية الساحقة بين رعايا الخليفة — لقرون عديدة بعد الفتح الإسلامي — غير سنية تركه المذهب الذي كرمه سلطنة طبقة أجنبية حاكمة تتمتع بامتيازات خاصة

ومع ذلك كان الشعور الديني قوياً بين الطبقات العامة، وقد تحلى هذا الشعور بظهور سلسلة فرق مترددة منشقة منذ القرن الثامن الميلادي حتى الفتح المغولي، وتتنوع جميع هذه الفرق تقريباً بفلسفة خاصة Symeneticist تحتوي عناصر مقتبسة من فرق سبقت العصر الإسلامي كالأفلاطونية الحديثة والمناوية والمزدكية وبفلسفة اجتماعية ثورية فيها عامل المساواة بين الأفراد وتنظيم سرى يشبه النظام الماسوني، وهي عادة من أفراد من مختلف الطوائف Interconfessional مع درجات من التقسيم والتهذيب، وتجد مثلاً حصراً لتناص هذه الفرق وفشل المذهب الذي في حالة الهولنديين في الهند الصينية (أندونيسيا) والفرنسيين في أفريقيا الغربية، حيث حل الرّم من قواها المتفوقة نجد البعثات المسيحية تتقدم بين السكان الوطنيين بنجاح أقل من نجاح الدعوة الإسلامية. فهنا أيضاً يرى الزيجي أو الإندونيسي أن المسيحية متصلة بمحكم أجنبي، فيفضل أن يكون مسلماً من الدرجة الأولى على أن يكون مسيحياً من الدرجة الثانية

بلغت هذه الحركات الدينية أوجها في القرنين العاشر والحادي عشر. فقد كانا مرحلتين تطوران صناعات وتكتل حضري. فظهور نظام راق للبنوك مركزها بغداد، تغطي فروعها الإمبراطورية، ساعد على تهيئ الدولة بالنقد، وعلى حفظ النقود بصورة عامة أساساً للاقتصاد. وقد أثر هذا على التحويلات الصناعية، فأنتج تركيزاً في رأس

هذه الفترة وأولها جملة في تاريخ ابن عذاري المراكشي إذ يقول عن والي أفريقية والمغرب سنة ٧٧٠م (١٥٥هـ): «وكان يزيد (بن حاتم) هذا حسن السيرة قدم أفريقية وأسلمها ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها<sup>(٢)</sup>»

ومع أن الكتاب الذي يحتوي هذا النص قد كتب في القرن العاشر فلا مانع من قبول صحة هذا الخبر وهو خبر طريف في ذاته، إذ أنه يظهر أن الأمير العربي وضع العمال والأسواق في القيروان، وهي مدينة جديدة بناها العرب الفاتحون، تحت نفس الإدارة والمراقبة كما كان يفعل الحاكم البيزنطي في المدن المجاورة. ولكن يظهر لي أن استنتاج وجود نقابات عربية في القيروان من هذه العبارة، كما فصل «فون كرمير Von Kremer<sup>(٣)</sup>» و«أيجر Atger<sup>(٤)</sup>» غير مؤيد بالبيانات الموجودة

وفي نهاية القرن التاسع الميلادي نجد عدداً لا بأس به من المصادر يشير إلى وجود شيء من نظام التكتل بين التجار وأصحاب الحرف. لكن هذه الأسماء لا تمثل بعد إلى درجة يصح اعتبارها كتموج للأسماء الإسلامية. وإنما هي مجرد تنظيم عام وضبط للأسواق والحرف من النوع للموسوف في المصادر البيزنطية المعاصرة<sup>(٥)</sup> يمكن أن نستنتج من هذه الإشارات أن الأمراء المسلمين احتفظوا بأشكال السيطرة العامة التي كانت للادارة البيزنطية على الحرف — على الأقل في معاملاتهم مع الصناع من غير العرب وغير المسلمين — وربما اعتد ذلك حتى إلى المسلمين أنفسهم. وعلى كل حال فإننا نجد في القرن التالي تطوراً ظاهراً فيما يسمى بالأصناف الإسلامية، وحينئذ نجد بها من نوع لا يصح تليله بالتأثير أو التراث البيزنطي. وتوجد نظرية أخرى بجانب هذه النظرية تطلب فحصها الانتقال إلى موضوع قد يجهل غير المستشرقين

بدأ المستشرقون في السنوات الأخيرة بتأكيد أن أكثر فأكثر أن المذهب السني في العصر الأول والخلافة لم يكن أبداً

(١) انظر Von Vloten - Recherches sur la Bonémation

Arabe Amsterdam, 1849 أنظر أيضاً Islam Léudien Becher

Bartold - musliman Culture, Calcutta, et 34. p. 72-6, 100-102

وما يستمر النظر أن التقسيم بين السنة والمعتزلة لا يناسب تماماً

التقسيم بين العرب وغير العرب. فالطبقة الحاكمة في فارس من عهد الدولة

الساسانية انضمت إلى المذهب السني بينما تجد الطبقات الفقيرة من العرب

في سورية والعراق تأثرت بالناحية وزندقات أخرى

(٢) كتاب - البيان الغرب في حق العرب - لابن عذاري المراكشي

طبعة ليدن سنة ١٨٤٨ ج ١ ص ٦٨

(٣) Von Kremer - Kulturgeschichte des Orients, Vienna

١٨٧٧, II, p. 187

(٤) Atger - Les corporations Tunisiennes, Paris, 1909

(٥) Metz - Renaissance of Islam و Von Kremer راجع

إلى استيعاب العوام واستباحة أموالهم فيتوصلون به إلى آمالهم<sup>(١)</sup> ومن الواضح على كل حال أن الحركة الإسماعيلية كانت مبنية على نوع من التفكير الحر تتعرف بقراءة الأديان جميعاً وتنبذ الشريعة الإسلامية ، وتستند إلى مبدأ من العدل والتسامح والمساواة القائمة<sup>(٢)</sup> ، وبطريقة حاذقة من التفسير تعرف بالتأويل أسندت هذه المبادئ بنصوص من القرآن والكتب الدينية الإسلامية وكذا عوملت كتب اليهود والنصارى المقدسة بنفس الطريقة ...

وقد ذكر عبد الله الإسماعيلي في عرشه للأسس الاجتماعية للإسلام أنه « ما وجه ذلك إلا أن أصحابهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بناب لا يميل وهو الإله الذي زعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدوا بذلك حاجلاً ، وجعلهم له في حياته ولقدرته بعد وفاته خولاً ، واستباح بذلك أموالهم بقوله : لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى (الشورى ٢٣) فكان أمرهم مهم نقداً وأمرهم مهم نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التبع والتعصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج<sup>(٣)</sup> »

روى هذا النص مؤلف سني توفي سنة ١٠٣٧ ، كمثل من ذبح للقرامطة وشك بعض الباحثين في صحته . لكن النص وإن كان ركيك التعبير ، فإنه لا يوجد فيه غير الخطأ من شخصية الرسول ، ولا يمكن تأييده بنصوص من الكتب الإسماعيلية القديمة الغليلة أو التأخرة التي لدينا .

هيب العزبي الدروري

« يتبع »

(١) س ه كتاب فضائح الباطنية لفرزاني لفره كوه زهير طبعه ليدن ١٩١٩  
(٢) وحتى الوقت الحاضر تجد أهل الحق أو - أهل حق - وهم بقية إحدى هذه الفرق تسكن في بعض قرى شمال شرق إيران تحفظ بيده من هذه الصفات فتحتوي إحدى قصائد التزنية هذم بالوعد بأن سيحارب السلاطين . ويلاحظ البروفسور فينورسكي بصورة خاصة للزينة الشعبية Popular لهذا الدين إذ يقول إنه « متفق بصورة خاصة من قبل الطبقات الراضية من بدو وفرويين ودواوش وسكان المجلات الفقيرة . . الخ » (لاحظ ملحق دائرة المعارف الإسلامية - مادة - أهل حق - )  
(٣) س ه البغدادي : الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩١٠ ٢٨١

المال والعمل<sup>(١)</sup> كما وقد انقوى السريح في رأس المال حسب المتظنر مشا كل اجتماعية خطيرة . إذ تقرأ من سلسلة اضطرابات خطيرة في بغداد ، وعن ثورة الرنج في أسفل العراق في القرن التاسع ، ثم عن ظهور فرى دينية باستمرار . وفي هذا العصر زلزل العالم الإسلامي بحركة ثورية سياسية اقتصادية ثقافية في نفس الوقت أنتجت الخلافة الفاطمية في القاهرة . فالحركة الإسماعيلية (أو القرمطية) - كما تسمى هذه الحركة تيمناً لاسم أم شعبا وأكثرها أهمية - تميزت بآراء باراء محمية . إذ وجهت دعوتها إلى ختلف الفرق الإسلامية - من سنة وشيعة - وختلف الأديان من يهود ونصارى ، وزرادشتية على السواء باسم الحركة الثقافية والعدالة الاجتماعية ، ويسبب البت في فلسفتها الحقيقية لأن مصادرها إما سنية فتكون شديدة المداء متحيزة ، أو إسماعيلية تنتمى إلى عصر متأخر عند ما طار على المبادئ الأولى تعديل واسع . فثلاثاً نرى أن نغفر الدين الرازي وصف الغزالي والشهرستاني والبغدادي بالتعصب وقلة فهمهم لآراء خصومهم . إذ روى عن حديث له مع المسعودي عن الكتب قال : « فقد ذكر المسعودي كثيراً منها إلى أن ذكر كتاب الملل والنحل للشهرستاني . فقلت : نعم ، إنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل الملل زعمه إلا أنه غير متقدم عليه ، لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتب السمي بالفرق بين الفرق ، من تصانيف الأستاذ أبي منصور البغدادي ، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على الخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح<sup>(٢)</sup> ، وقد أدرك للغزالي الخاصة الاجتماعية للمذاهب المنشقة ، وقال في الكلام عن الباطنية : « قاستبان أن ما ذكروه تلبس ببيد عن التحقيق وأن المعاني المتخذه به في غاية العمى ، لأنهم يلبسون على العوام<sup>(٣)</sup> ثم قال أيضاً عنهم : « فها هوذا من خطر أخطأ مستحق في نفسه عند المحصلين من أهل الدين ، وإتسا يعظم به الأمر على العوام النافلين عن أسرار الشرح . » وعند الكلام على الباطنيين قال : « وهؤلاء الباطنة تواطئوا على هذا الاختراع ليتوصلوا به

(١) أنظر كتاب Fixhil, The Ougui of baohingui Medieval, 1931 p. 339-561  
Jems in II Social life of Medural Islam, 1937  
(٢) لاحظ ملحق مناظرات نغفر الدين الرازي ص ٢٦٢ ، القاهرة سنة ١٩٣٧

8me Année No. 356

Lundi - 29 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعوانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ودريس تحريرها المستول

احمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٥٦ » القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ربيع أول سنة ١٣٥٩ - الموافق ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٠ » اللجنة الثامنة

اليهودية وتبويبها وتصنيفها ونيلها . وهما بصورة خاصة للفقرة التي قسم فيها الذين لا يمتنعون الحرف كما يلي : قسم لا يمتنع الحرف كبرياء وأنفة ، وقسم لزهده كالأنبياء ، وقسم يقلدها لسمكة وقلة نشاطه كالشعاعين وغير الماهرين من الصنائع أو لثراخ في الطبيعة وضمت في العقل كالنساء وما يشبههن من الرجال . فالإشادة المقصودة بأصحاب الحرف بيّنة ، والأمثلة الأخرى على اهتمام الإسماعيلية بالحرف كثيرة . وهناك عامل ثان وهو للفرق بين وضعية الطوائف في عهد الفاطميين وبينها في عهود الدول السنية . إذ كانت الطوائف تحت الحكم السني مضطعدة وخاصة لقيود لاتمد ، وعجرومة من حقوق قانونية . وكان هناك موظف حكومي يدعى المحتسب مهمته الأساسية مراقبة الطوائف وقتل أية محاولة للعمل المستقل فيها منذ المبدأ ، ولدينا أدب جميع ضد هذه الطوائف يظهر قوة ثقة الدول السنية بها ، ويظهر ذلك خاصة في كتب الحسبة أي الكتب التي كتبت لغاظة المحتسب عن خطر أهل الصنائع وعن أحسن الطرق للسيطرة عليهم ، وقد وصلتنا هذه الكتب من محلات متباعدة كالقاهرة وحلب ومالقة

نلاحظ الفرق في وضعية الأصناف تحت حكم الفاطميين ، إذ كانت تتمتع برأه عظيم . فقد كانت معترفاً بها من قبل الدولة ، ويظهر أنها كانت تتمتع بامتيازات كثيرة ، وأنها لعبت دوراً هاماً في النشاط التجاري الذي حصل في العهد الفاطمي ، ففي هذا العصر نشأت نقابة الأساندة والطلاب التي تولت الجامعة العظيمة أي الأزهر التي مر ذكره . ثم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ١١٧٩ م ، وأعيدت مصر إلى الحكم السني وفي الحال جردت الطوائف من أكثر حقوقها وامتيازاتها وأخضعت لنظارة دقيقة

وهناك عامل ثالث يؤيد هذه النظرية ، وهو الأثر القوي الذي تركه النفوذ الإسماعيلي في الطوائف بعد اختفاء الدعوة الإسماعيلية بزمن طويل . إذ يقول الأستاذ كوبرلي (١) إن الطوائف في أمانشوليا في القرن الثالث عشر كانت لا تزال تحتفظ بنظام متدرج في التشييع يشبه بدقة النظام الإسماعيلي ، كما أن

## النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز المروري

— ٣ —

كانت الحركة الإسماعيلية قوة تهديدية عظيمة ، اختصت بإنشاء مدارس وجامعات أشهرها جامعة الأزهر في القاهرة وتصنيف دائرة معارف واسعة نذكرنا بحركة التأليف الأسكوبيدية في فرنسا في القرن الثامن عشر . وفي هذه الموسوعة المسماة « رسائل إخوان الصفا » نجد تقريباً كل الآراء الفقهية في ذلك العصر وإشارات قليلة دقيقة إلى نظم تشكيل الجمعيات ، ومنها نظم وجود جمعيات لإخوان الصفا في جميع أنحاء الإمبراطورية تشمل لبث آرائها بين كل طبقات الشعب وخاصة بين الصنائع وأصحاب الحرف (١) يرى الأستاذ ماسنيون أن الحركة الإسماعيلية هي التي أوجدت الطوائف الإسلامية وأعطتها ميزتها الخاصة التي حافظت عليها حتى الآن ، إذ يقول : إن الطوائف الإسلامية كانت قبل كل شيء سلاحاً شهرة الدعاة الإسماعيليون في كفاحهم لضم الطبقات العاملة في العالم الإسلامي لتكون قوة منهم تستطيع قلب الخلافة وكل ما عتله ، وللتوصل إلى استغلال أصحاب الحرف أوجدوا الطوائف وسيطروا عليها . وهكذا أصبحت لها مخاضات : (أولاً) كونها أسنفاً للحرف و (ثانياً) كونها مؤسسات أخوية إسماعيلية (٢)

دعنا فنحسب الدلائل التي تؤيد هذه النظرية . يجب قبل كل شيء ملاحظة اهتمام الإسماعيلية المعاني بطبقات أصحاب الحرف فقد خصص فصل كامل في رسائل إخوان الصفا للنظر في الحرف

(١) رسائل إخوان الصفا . القاهرة ج ٤ ص ٢٩٤

(٢) لم يصل الأستاذ ماسنيون من الأسف بنظرته إلى النهاية إذ أنه يقول إن المصادر لا تزال غير كافية La Passion d'al-Hallaj Paris. 1922, Vol P. 83, 399, 410 لاحظ الأسكوبيدية الإسلامية . مادة نقابة . صنف . شد

من هيكلم موروث من العالم اليوناني الروماني وسلمة من الآراء جاءت على الأخص من الحضارة الفارسية الآرامية وأنشأت حركة إسلامية إغريقية تهذيبية فلسفية تكتلية ( على هيئة جميات ) في نفس الوقت

وفي أوسط القرن الثالث عشر حدثت فاجعة الفتح المغولي الذي حطم الخلافة وأخضع المسلمين من سنين وغيرهم على السواء إلى سيطرة شعب أجنبي كافر ، وأفضى إلى طمس التمييز الاجتماعي بين الاثنين « السنة وغير السنة » وسهل نوعاً ما اعتناق الجماهير للمذهب السنّي . وبإخفاء الحركة الإسلامية تخرج صركز الأصفان في الجمع السنّي ، إذ بقيت بعض الصعوبات ، فأحباب الحرف بقوا غير آمنين في نير الطليقات الحاكمة في الدولة . وربطوا أنفسهم بموول دينية هي وإن لم تكن خارجة عن الدين لم تكن دائماً فوق للشك ، وهذا هو التصوف ، فإلى زمن قريب كانت تصدر بعض التهم من علماء السنة ضد الأصفان كالأحكام التي أصدرها الفقيه السوري العظيم ابن تيمية ، أو التي أصدرها الشيخ المباني ( متري بلغادي ) في القرن السابع عشر . وعلى كل حال رغم من كل هذا المدا كانت حالة الأصفان في الفترة التي تلت الفتح المغولي متوطدة ، واستمرت كذلك حتى حركة الإصلاح للترك في القرن التاسع عشر التي انتهت خطة أدت إلى انحطاط الأصفان بصورة عامة . وترجع أكثر الوثائق وكل الأخبار التي لدينا عن النظام الداخلي للأصفان إلى الفترة التي تلت العهد المغولي

وقبل النظر في النظام الداخلي يجدر بنا أن نفحص مشكلة هامة في تاريخ الأصفان الإسلامية . فإلى نفس الوقت الذي نجد فيه الأصفان تخطط بطرائق الدراويش والصوفية نجدها على اتصال أشد بنظام جديد وهو الفتوة . أما أصل حركة الفتوة فغامض جداً ، وليس هذا محل البحث عن ذلك . وبكفي القول بأن تشكيلات الفتوة انتشرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في جميع البلاد الإسلامية . وجمية الفتوة هي مجموعة شبان ( فتيان ) يربطهم قانون أو دستور ديني وأخلاق يحتوي على واجبات وشعائر منظمة . فهم مسئولون عن ممارسة بعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية غير الإسلام . ويظهر من هذا

دراسة أصفان مختلفة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي أظهرت آثاراً مماثلة . وتظهر رسالة لأحد الأصفان المصرية كتبت في القرن السادس عشر - كتاب النخائر والتحف في بير للصنائع والحرف - كرهاً شديداً للحكم المباني الذي يعتبر سبب تعاسة رجال الأصفان ، ونجد في الرسالة فكرة انقراض المهدي لينقذ البؤساء

وهكذا نجد الآثار الإسلامية التي هي ضد التعاليم السنية تستمر بين الأصفان ، ونلاحظ العبارة التالية في هذه الرسالة « إن العلم يطارونه وبعد أن تذهب دولة الثمان يطالبونه ويقوم سيدي محمد المهدي لكل حرفة لها صدر في الصحابة ويأمرهم باتباع الطريق فيدخلون السجاج ويسألون كل بقية عارف بصير الأمر له يحتاج حتى يقوم الدين ويصلح اليقين ويبطل العقد والثلاث ويضرب أعناق النقباء الجاهلين والشايخ المتلبسين »

وأهم من ذلك وجود أفراد من طوائف مختلفة بين أفراد الأصفان ، وهي خاصة تميز هذه الأصفان بدقة عن النقابات الأوروبية ، إذ يقبل السنن والسيجي واليهودي تحت نفس الشروط فيها ، حتى إن بعضها يقبل فيها غير المسلمين كأصفان الأطباء والصاملين بالمعادن الثمينة... الخ. وهذا يظهر الرابطة الدقيقة بين الأصفان والدعوة الإسلامية

يتضح من كل هذا أن الحركة الإسلامية لبنت دوراً هاماً في تطور الأصفان الإسلامية ، وأنها تركت أثراً عميقاً خالداً في حياتها الداخلية ، وإن لم يوجد برهان واضح يبين أن الحركة الإسلامية أوجدت الأصفان<sup>(١)</sup> ، ولكن الأكثر احتمالاً هو أن الإسلامية أعطت مصدراً جديداً ومعنى جديداً لتشكيلات كانت موجودة من قبل . فهل كانت هذه التشكيلات من أصل بزنلي ، أو كانت تقليداً لمؤسسات بزنلية معاصرة خارج حدود الامبراطورية الإسلامية ؟ هذا ما يستحيل البت فيه . فإثار تشكيلات الحرف في الفترة التي سبقت الحركة الإسلامية والعالم الإغريقي العظيم في الأفكار يؤيد تفسيراً من هذا القبيل وهكذا تكون النقابات الإسلامية عبارة عن نظام يتركب

(١) لهذا الحد قبلت نظرية ماسنيون من قبل ( كوبرلي ) و ( كوردلنكي ) . أما ( تشر ) فيؤجل البت لأن البت لم يتم .



من سحر الربيع

عَيْنَاكَ...!

لأستاذ محمود حسن إسماعيل

عَيْنَاكَ لِي قَبْسَانِ فِي زَمَنِ السَّحْرِ هَادِيَانِ  
وَسَمَاعَتَانِ مِنَ الْعَالَمِ رَمَّةً وَالْقَدَاسَةَ وَالْجَنَانِ  
وَسَكِينَتَانِ بِوَاخَةٍ سَجَوَاءَ عَذْرَاءِ الْجَنَانِ  
سِرُّ الْإِلَهِ بِهَا خَفِيَ الْقَيْبُ مَقْصُومُ السَّانِ  
أَشْجَعْتُ خَيَالِي مِنْهُمَا فِي وَحْدِي أَنْشُودَتَانِ  
تَهَادَلَانِ عَلَى رُبَابٍ لَمْ تَلَامُنِي بَنَانِ  
عَيْنَاكَ لَوْ تَذَرِينَ فِي صَحْرَاءِ عُجْرِي وَاحْتَانِ  
وَبُحْبُوحَتَانِ بِعَالَمٍ قَوْ قِ الْقَيْبِ زَهِيدَتَانِ  
بِالْحُبِّ وَالْإِنْفَامِ وَالْخَمْرِ الْمُتَدَسِّسِ تَخَفُّفَانِ  
اللَّهُ أَكْبَرُ! بَلْ هُمَا مِنْ نَائِي رَبِّكَ هَمَسَتَانِ  
وَمَا يُرَدِّجِي فِي السَّنَا أَلْ بَحَاثِي لَدَيْكَ عِيَادَتَانِ  
بَلْ نَشُوتَانِ، وَسَجْدَتَانِ، وَفَتْنَتَانِ، وَتَوْبَتَانِ  
وَمَا يُعَيِّنِي لَوْ عَلِمْتُ مِنَ الصَّيَاهِ تَمِيمَتَانِ  
تَقِيَانِ قَلْبِي مِنْ أَدَى الدُّنْيَا وَشَفَوَّةِ الزَّمَانِ  
... ..  
عَيْنَاكَ عَيْدُ سَنَاهَا بَتْنِي وَلَا ...  
... لَا تَذَرِيَانِ!

(دوان المارف)

محمود حسن إسماعيل

### مجموعات الرسائل

نبايع مجموعات الرسالة بجلد بالآتي :

السنة الأولى في جلد واحد ٥٠ قرشا، و ٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في مجلدين .

وذلك محدا أجرة البريد ولديهما غرة فروش في الفسخل وعشرة فروش في السودان وحمرون قرشا في الخارج من كل جلد

أن الفتوة تشكل نظاماً إسلامياً يوازي الفروسية عند الأوروبيين حتى أن فون هر Von Hammer ذهب إلى أن أصل للفروسية الأوروبية إسلامي<sup>(١)</sup>

وفي الفترة التي فات للفتح المنولي مباشرة نجد الفتوة تميل أكثر فأكثر إلى الاتصال بالطرائق الصوفية وبأصناف الحرف بواسطة رابطة المنصوية ( أي الانتهاء إليها في نفس الوقت ) . بدأ هذا التطور في الأناضول، وانتشر بسرعة في أنحاء العالم الإسلامي، ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت كلنا صنف وقوة ذات مدلول واحد . أما كيف بدأ هذا الامتزاج، وعلاقة هذه التشكيلات المختلفة، فأمر غامض لم يوضح بصورة كافية حتى الآن<sup>(٢)</sup>

يلاحظ تاشنر Taeschner ثلاثة أدوار في تاريخ الفتوة، وهي ثلاث خطوات لا محال اجتأى مطرد : فيقول إن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة في القرن الثالث عشر، وأخيراً انحلت في القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة اللوام . وهكذا اندمج للفنيين في أصناف الحرف . ومن جهة أخرى يقول ثورننج أن الصوفيين وأصحاب الحرف قدلوا جميعات الفتوة مقتبسين شعارها ومثلها العليا وأخيراً اسمها . وأكثر هذه التمثليلات إقناعاً هو تمثيل ( كورديفيسكي ) الذي يتفق مع كوبرولو<sup>(٣)</sup> على أن زمن اندماج مجموعات الفتوة بالأصناف هو في القرن الثالث عشر في الأناضول، ويربط ذلك بنظام هام هو نظام ( أخيان روم ) أو ( أخوة الأناضول ) . فقد ظهرت أخوة في أناضوليا لأول مرة في السنوات التي تلت للفتح المنولي مباشرة، إذ كانت الفترة فترة فوضى واضطراب عام ؛ فالغول الذين دحروا الدولة السلجوقية مجزوا عن التوحيض فيها، وبذا اضطربت الإدارة، وفي هذا الدور الحرج تظهر الأخوة كنؤسسة قومية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم .

( يتيم )

عبد العزيز المصري

(١) لاحظ، Sur La Chevalerie des Arabes، J. A. 1899, P. 5

(٢) لاحظ، Die Islamische Futuwotbünd. Z. D. 1933, P. 6

(٣) كوبرولو 112-110-76-8 Les origines

8me Année No. 357

Lundi - 6 - 5 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة  
٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الأقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في العراق بالبريد السريع  
١ ثمن العدد الواحد  
الاعلونات  
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسئول  
احمد حسن الزيات  
الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدؤى رقم ٣٤  
عابدين - القاهرة  
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٥٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٥٩ - الموافق ٦ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

## التقابات الإسلامية

الأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز العروى

— ٣ —

وتظهر السلطة الثمانيّة وتوحدها فقدت الأخوة كثيرًا من سلطتهم ونفوذهم ، وبمد مقاومة هنيئة غير ناجحة اضطرّوا إلى التخلّي عن مهمتهم المياسية والمسكرية ، ولكنهم لم ينحطوا أبدًا إلى درجة أصحاب حرف عادية فقد اصنعت بينهم روح النصر الأوّل . وحافظت الطوائف حتى للقرن الثماني على حياة روحية داخلية وقانون أخلاق

وامتزجت نظم الطوائف والفتوة والأخوة في الأناضول بسرعة وتم ذلك في كل البلاد الإسلامية المتوسطة (سركاز) في القرن الخامس عشر . وقد جاءت معظم وثائقنا عن النظام الداخلي لهذه الطوائف بواسطة طوائف الفتوة . فكان لكل طائفة قانون يحتوي على قواعد وعادات وشعائر يتلى شفهيًا عادة . وكان هذا القانون يعرف بالدستور (كلمة فارسية معناها : إذن . ومؤخرًا . نظام) وكانت تكتب هذه القوانين في بعض الأحيان وقد وصلنا عدد كبير من هذه للكراريس ترجع إلى القرن الرابع عشر وما بعده .

ويعتبر كتاب الفتوة أو (فتوت نامه) كما تسمى هذه الكراريس بالبرية والتركية هل التوالى مع عدد من كتب الرحلات والجغرافيا المصدر الأساس لمعلوماتنا<sup>(١)</sup> وتأنف جميع هذه الكتب تقريبًا حسب خطة واحدة من ثلاثة أقسام . القسم الأوّل يحوى أساطير تتعلق بأصل الحرفة ومناشرات مؤسساها الذى تنتمى إليه ، وهى تعطى عادة حلقة من التنشيط مثلاً : الله علم جبريل ، وجبريل علم محمد ، محمد علم عليا ، على علم سلمان الفارسي ، وسلمان علم الأبيار (وم جماعة أصحاب الحرف حسب تقاليدهم) والأبيار علموا الفروع (وم الجماعة الثانويون للشعب المختلفة لأصحاب الحرفة الواحدة) . وهؤلاء الفروع علموا بدورهم رؤساء الأستان المداين . وهذه الأساطير تظهر عادة تأثيرًا قويًا للإسماعيلية والصوفية . القسم الثانى : يحوى عادة قاعدة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف ، وهؤلاء عادة أشخاص اقتبسوا من الفتوة والقرآن ومن التاريخ الإسلامى ، وهكذا نجد آدم حاكى للفلاحين والغيازين ، وشيث حاكى الحلياء والغياطين ، ونوح حاكى التجار ، ودادو حاكى المداين والصبغ و إبراهيم حاكى

انتشرت حركة الأخوة بسرعة في المدن والأرياف . بالتكتل والكرم . كدستورم ، وطبقة أصحاب الحرف كأساس اجتماعي لهم ، وقتل الطغاة وصنائهم كواجب من واجباتهم ، فكانت حركة اجتماعية سياسية دينية عسكرية في نفس الوقت . وقد لاحظ أحد الزائرين في عهد متقدم أن أعضاء كل جمية من جميات الأخوة كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولا بد من أنب الاتحاد التام لجميات الأخوة مع الطوائف قد حصل في زمن متقدم ، وربما كان ذلك في بدء حركة الأخوة . كأن حركة الأخوة لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب حرفة واحدة ، وإنما جعلوا واجهم حفظ العدل ووقف الظالم عند حده ، واتباع قانون أخلاقى ودينى ، وتنفيذ واجباتهم المسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . ولم تكن العضوية مقصورة على المسلمين فقط إذ نجد عدد المسيحيين عظيمًا جدًا في طور متأخر

وهكذا تحقق في حركة الأخوة لأول مرة اتحاد الطوائف والفتوة والطرائق الدينية . وقد أتى كورد لفسكى ببينة محتمة تؤيد تأثير الطوائف بالنفوذ الإسماعيلى إذ يلاحظ الأستاذ أثرًا قويًا لأفراد إبداعية (لا توافق قواعد الإسلام) عند الأخوة ، ويرجع أصل ذلك إلى إخوان الصفا . ويذهب (كوبولو) إلى أبعد من ذلك ويؤكد أن الأخوة كانوا في الحقيقة متطرفين لمحدثين في بدعتهم وخروجهم وأهم من طراز القرامطة أنفسهم<sup>(٢)</sup>

والدنيا وصف هام للأخوة في الأناضول ورد إلينا في رحلة ابن بطوطه من أهالى طنجة زار الأناضول في القرن الخامس عشر الميلادى<sup>(٣)</sup>

(١) تمح ملاحظة أن (تفسر) ينكر أى أثر إسماعيلى في حركة الأخوة ويعتبر سببا قبل كل شيء

(٢) ابن بطوطه طيبة باريس ١٨٥٤ ص ٢٦٠ وما بعدها . غنى (تشر Taeschner) مخطوطة أخوة محتمة ترجع إلى القرن الرابع عشر تنسب إلى يحيى بن (خليل) . وفى هذه الرسالة نلاحظ ثلاث درجات بكت في أخى شيخ والفرحة الأخيرة نظرية أكثر منها عملية ووطيعة

— الآخى أن يبدو رؤساء الاجتماعات الأسبوعية وتعلم وتنشيط المبتدئين . وكان البكر (دينان) ينصون إلى صوتين : قول وسبق . ومن الصنف الثانى بين الأخوة المحدث في سالة الفراع . وهناك موظف دائم يدعى القتيب أو رئيس الحفلات

(١) ص ١٠٥ أترال أكثر هذه الكراريس باستثناء اثنين أو ثلاثة خطية موزعة في أوروبا وآسيا في المكتبات العامة وخاصة في القاهرة

راجع : Thorning, Breitlage p. 15-54

إلى الطائفة، ويدربه أستاذ في شئون حرفته كما يحصل على دراسة أخلاقية في الزاوية في نفس الوقت. وإذا تلمذ الجراف لأستاذ معين، فعليه أن يتي مع أستاذه ولن يقبله أستاذ آخر كتلميذه. وفي نهاية هذا الدور يطلب منه عمل شيء مثالي متقن في صناعته ثم يجاز في حفلة عامة من قبل — الأصناف بنى — أى شيخ الحرفة، وال — يكتم باشلى — أى الاختيارية، وبعد هذا يصبح خلفه<sup>(١)</sup> ويجب عليه أن يبقى ستة أشهر على الأقل وبعد انتهائها يستطيع أن يمارس حرفته كأستاذ — وفي هذا يساعده أستاذه وغيره من الأساتذة من الوجهة المالية مائة.

ترأس الطائفة هيئة تدعى لويجه هيتى Lonca Heyeti تشكل من شيوخها أى الرجال السنين<sup>(٢)</sup> ويكون للقرار النهائي الرئيس الذى ينتخب عادة لتقواه. وتجتمع الهيئة مرة كل أسبوعين، وينفذ الأوامر والمقررات الجاويش أوام — أوش باشى — ويحرص الطوائف كثير على كيفية نوع المنتج ويمابق صاحب الإنتاج الردى بطرده مؤثماً من الطائفة تشتري المواد الأولية تحت رقابة الشيخ، ولأصحاب الحرفة الفقراء حق الأقدمية في هذا على الأغنياء، وبعد اجتماع عام سنوياً.

يمكننا أن نلاحظ الدور الهام الذى يلعبه اللباس الخاص لرجال الطوائف في حياتها. فبزة الفتوة الظاهرة في أوائل عهدا كانت السروال، وبشكل الكتاب العرب من ليس السروال كلمة للاتناء إلى الفتوة؛ ثم أصبحت هذه العادة منبذة في الطوائف، وصارت حفلة الانتهاء إلى عهد قريب تقصت بإرتداء بعض الملابس؛ السروال ولشد والحزام والبشمال أو الصديرة. وحى الأثم من بين الملابس.

لدينا وصفان مفصلان للطوائف الإسلامية يستحقان الفحص كل على أفراد أولها وصف في رحلة ساحر تركى يدعى — أوليا جابى — الذى صنف قائمة مفصلة بأسماء الطوائف وهيئات أصحاب الحرف في أوائل القرن السابع عشر بناء على طلب السلطان، وفي هذا المؤلف نجد لأول مرة وصفاً كاملاً لنظام الطوائف في مدينة إسلامية. يبدأ أوليا جابى وصفه للطوائف بفتوت ثامة — كتاب الفتوة — الذى يظهر أنه نص منقول يحتوي على الأساطير والتعاليم الاحتياطية وكذا وصفه حفلة الانتهاء

الطباخين، وإسماعيل حاي صناع الأسلحة. والقسم الثالث يحوى التماثيل لتتقيد البتديين، والاسئلة فيه تظهر اتصالاً قوياً بآراء الفسراويس. ويمكننا من هذه الكرايس (كتب الفتوة) أن نصور نظام الطوائف لحد ما. ويحسن بنا أن نذكر في عمداً هذا أن وثائقنا جاءت من حقل تاريخى يمتد منذ القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين ويشمل كل البلاد الإسلامية. ومهما كان التفسير قليلاً خلال القرون، فإنه يوجد تباين على عظيم. لذا سنحاول أن نعطى صورة شاملة مع ملاحظة الفروق الأساسية فيما للحل والزمن يرأس الطائفة الشيخ<sup>(٣)</sup> ينتخبه الأساتذة من بين رجال الحرفة، وبعد انتخابه يكون حاكم الطائفة الأوحد ويجمع وظائف رئيس وأمين صندوق وكاتب، وهو (أى الشيخ) موجود في جميع الطوائف الإسلامية وفي بعض الطوائف كطوائف مصر في القرن السادس عشر الموصوفة في (خطوط كونا) وتجد له مساعداً، وهو النقيب، ومزكته بالنسبة إلى الشيخ «كثرة الوزر من السلطان» ويظهر أنه كان رئيس التنفيذ لأوامر الشيخ ومنظم الحفلات أيضاً. وبليه الاختيارية أو السنون بين أساتذة الطائفة يتعاونون معه على إدارة الطائفة؛ ثم يأتى الأساتذة ويدي الواحد مادة أسطى أو أحياناً (سمل)، وهم يشكلون القسم الرئيسي من الطائفة. أما الصانع فلا يملك دوراً هاماً في الطوائف الإسلامية ولا وجود له عادة إذ يكون الانتقال من مبتدى إلى أسطى رأساً، ويوجد في بعض النقابات دور وسط يدعى للعامل في خلاله خلفه أو خليفة، وهذا الدور وقتى فقط.

وتم الحلقة بالمبتدى. وفي أغلب الحالات لا يحدد وقت للدور الذى يقضيه المبتدى ولا يطلب منه صنع شيء مثالي متقن جداً Masterpiece بالمى المتهوم عند الأوربيين. فزمن البراسة والأجزة وبين من قبل الأستاذ الذى يشغل منه المبتدى. وتختلف النصوص في مسألة تطبيق النظام فيقول البعض إن الشيخ يطبقه أو ينفذه منفرداً. ويقول آخرون إنه يفعل ذلك بمساعدة الاختيارية هناك نوع آخر من التنظيم في الطوائف الأناضولية المتأخرة وصفه كوردلفسكى إذ يطلب هنا من المبتدى قضاء ألف يوم ويوم في هذا الدور. كما أنه لا يأخذ في هذا الدور أى أجر ولكن له الحق أن يحصل على بعض المكافأة (البقشيش) وولجة عند انتهاء

(١) راجع Gordlevsky - R. E. I. 1934, p. 81 off.

(٢) يقول كوردلفسكى نظراً لقله رأس المال كان يعد دور الحلقة إلى أكثر من ستة أشهر.

(٣) يعرف الشيخ أيضاً باسم (أمين) وصريف، وأحياناً تيب إذا احتضرت رتبة النقيب كرتبة مستقلة يسمى الشيخ في تركيا - شيخ - أسطى - وفي آسيا الوسطى يسمى - آق مغال -



3me Année No. 362

بدل الاشتراك عن سنة  
٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الأقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في العراق بالبريد السريع  
١ عن العدد الواحد  
الاعلونات  
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للدراسات والفنون

ARRISSALAH  
Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

Lundi - 10 - 6 - 1940

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها الشول  
احمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدول رقم ٣٤  
مادين - القاهرة  
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٦٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ جادى الأول سنة ١٣٥٩ - الموافق ١٠ يونيه سنة ١٩٤٠ » للسنة الثامنة

## النقابات الإسلامية (\*)

للأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز المروري

[تسعة]

بأنى مصدرنا الثاني من النصف الثاني للقرن التاسع عشر .  
في سنة ١٨٨٤ م قدم إلياس قدسي ( وهو سوري ) إلى مؤتمر  
المستشرقين الدولى نتائج بحثه في السنة الفائتة من طوائف  
« دمشق »<sup>(١)</sup> . ويجب اعتبار هذا البحث مصدراً تاريخياً وإن كان  
حديث العهد، لأن معظم ما يصنفه قد اختفى دون أن يدرس ثانية  
بغيرنا قدسي أنه كان على رأس جميع طوائف المدينة ( شيخ  
الشايع ) وكان هذا المنصب وراثياً في عائلة خاصة ، ولا يمكن  
انتخابه أو إقالته أو استبداله بشخص آخر . وكان دوره قابلاً

(\*) راجع الأعداد : ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ من الرسالة

(١) راجع بحث إلياس قدسي من النقابات في دمشق في أبحاث مؤتمر  
المستشرقين الدولى في جلسته السادسة ١٨٨٤ م ٣ وما يليها ، والبحث  
بالعربية .

كيف قلت في نقتة ؟ كان مجنوناً تنشى له أعصابه الربيضة  
الهاكية مازنها التي لا حقيقة لها في حقيقتها هي ... ! ! نعم ،  
ربما كان ذلك صحيحاً من بعض وجوهه ، ولكن على يقين من  
أنك لا تكاد تعرف وجه الحق في تأويل هذا الوصف . لا بأس  
ومع ذلك ، فأى هذا الناس ليس مجنوناً على الحقيقة من بعض  
نواحيه ؟ إنك لو جهدت فتثبت تاريخ الإنسانية كله لم يخلص لك  
من أصحاب العقل للكمال إلا أفضاء قلائل . ومع ذلك ، فليس  
أحد من هؤلاء الأفضاء قد نجح من قذف الناس إزاء الجنون .  
ألا تغفري أى الأنبياء — وهم فضائل الإنسانية الكاملة —  
برىء أن يقول فيه أهله وعشيرته : « إن هو إلا رجل به رجنة »  
أو « سائر » أو « مجنون » ؟

إن من أعظم حقائق الحياة الدنيا أن العقل لا يستطيع أن  
يدرك حقيقة العقل ، أى أنه لا يستطيع أن يدرك حقيقة نفسه ! و...  
وصدح المسكون صوت صغير الغارة الجوية ، فانترج صاحبي  
ثم قال :

— أليس هذا هو صوت جنون سكان العالم ؟ أليس كذلك ؟

« لها تسعة »

محمد محمد شاكر

للانتهاء إما بوفاته أو باستقالته ( ويكون ذلك أحياناً بآثير  
السلطان ) وقد كان في زمن أقدم الحاكم الأعلى في جميع شؤون  
الطوائف . ومحدث الهدن أن سلطته ( أى شيخ الشايع )  
كانت في زمن ما واسعة جداً تمتد حتى إلى حق الحكم بالوت .  
وعلى كل فقد احتفظ زمن طويل بحق سجن أو تقييد رجال  
الحرفة أو زهرهم بالسياسة . وكان يعيش على وقف وراثى . وقد  
أتمعت سلطته إلى حد كبير بعد « التنقبات » أى الإصلاحات  
العثمانية في القرن التاسع عشر وأصبح مركزه رتبة شرف فقط .  
وكان شيخ الشايع في زمن بحث قدسي عالماً كبيراً ولكنه يجهل  
تماماً جميع الحرف . وكان عمله الوحيد المصادقة على تعيين رؤساء  
الطوائف الذين بينهم الأساندة

ويظهر أن رتبة شيخ الشايع كانت مختصة بدمشق فقط  
إذ لا يوجد لها أثر في أية مدينة أخرى . لم يكن باستطاعة شيخ  
الشايع حضور جميع اجتماعات الطوائف شخصياً ، لذلك كان يرسل  
موظفًا خاصاً يسمى ( النقيب ) في حالة وجود اجتماع لترقية  
بعض الأعضاء إلى صناعات أو أساندة أو لأى شيء يخص المجموع .  
وعند ما كانت وظيفة شيخ الشايع مهمة وذات نفوذ كان له عدة  
تقياء . لكن قدسي وجد تقريباً واحداً ( زمن بحثه ) له معرفة  
بالحرف وبشؤون العوائف وهي الصفة التي كانت تنقص للشيخ  
ويلى شيخ الشايع — شيخ الحرفة — ينتخبه أكبر أعضاء  
النقابة من : أربع ماهرى الحرفة ، ولم تكن تتبع أية قاعدة  
في الأولوية سواء أكان ذلك من جهة السن أم طول زمن المنوبة  
فقد يكون الشيخ ، وقد كان كذلك في كثير من الحالات ،  
شاباً حدثاً ، بل كان يطلب فيه أن يكون فاضل الأخلاق ، عاملاً  
ماهرًا محترماً بين رجال الطائفة قادراً على تمثيلهم أمام السلطان .  
كان منصب للشيخ وراثياً في بعض الطوائف ، ولكنه خاضع  
دائماً لمصادقة المتجدين . وبين الشيخ لكبر سنه ، ويمكن  
استبداله إن وجد أنه غير جدير بمنصبه . وكانت واجباته :  
دعوة الاجتماعات وترأسها ؛ وملاحظة المحافظة على مستوى  
الطائفة ، ومعاينة مخالفات قواعد الحرفة ، وتنظيم شئون العمل  
( وكان هذا يفوض إلى الأساندة ) ؛ والأجازة إلى درجة صانع  
أو أستاذ ، وأن يكون رأس الطائفة المشول في كل العلاقات  
مع الحكومة . أما فيما يخص انتخاب الشيخ فقد لا حظ قدسي  
أنه لم يكن ينتخب بالأكثرية ، فمفسد خلو كرمى الرئاسة

(نواب رئيس الطائفة) عند الضرورات يشكل محكمة قضاء لرجال الطائفة . ولم تكن توجد درجة صانع ، بل كان البتدي عند إجازته يرفع إلى منزل أسعلى أو أستاذ راساً . وكان يطلب منه صنع شيء كودجي

وبهنا بصورة خاصة معرفة أنه كان في طوائف القاهرة نوع من أنواع التأمين ضد البطالة والمرض يتعاون في ذلك جميع الأعضاء لم تستطع كل هذه التشكيلات التي دامت دون تغير تقريباً حتى القرن التاسع عشر ، وأحياناً حتى للقرن العشرين مقاومة هزة الفتح الأوربي ، ففي كل محاولة في البلاد الإسلامية أخذت طرق الإنتاج القديمة تضح المجال لطرق جديدة ، وهكذا بدأت الطوائف تتحلل ، وتحول هذه التشكيلات في أغلب الأحيان إلى اتحادات تجارية Syndicats من النوع الأوربي كما اشتركت بعض نقابات تونس وتونس وسورية ، ومن الهند الصينية الهولندية في اتحادات المهال الدولية ، وهذه نقابات أخرى في دور انتقال

بقي علينا أن نذكرناحية عربية من حياة الطوائف الإسلامية (أى ما يعرف بالطوائف الوضيعة)<sup>(١)</sup> ، قرن أزمان متقدمة نجد في البلاد الإسلامية طوائف منظمة كاملة في مراسيمها ونظمها وتقاليدها من نوع آخر من الحرف كاللصوص وقطاع الطرق فكانت (بنى ساسان) أو (سباهي القاهرة) المظلمين سلوة عظيمة لمدة طويلة . وفي دور الفوضى في عصر الخليفة العباسي الثاني ١١٠٦ - ١١٣٦ م سيطرت طوائف اللصوص في بغداد على هذه المدينة<sup>(٢)</sup> وهذه الطوائف التي لم تكن لها دون شك أية علاقة بطوائف الحرف والصناعات الحقيقية ساعدت على حط صفة هذه الطوائف ؟ وكانت يتخذها أعداء الطوائف وسائل للتهجم عليها ما هي النتائج العامة التي تستخلص من هذا العرض للطوائف الإسلامية ؟ يظهر لي أننا نستطيع أن نستخلص أربع خصائص تميز تنظيماً للنقابات الإسلامية من تنظيماً للنقابات الأوربية كما يلي : أولاً : على العكس من النقابات الأوربية التي ظهرت كخدمة عامة معترف بها ولها امتيازاتها وتدار من قِبل السلطات العامة للأمر أو البلدية أو الملك نشأت للنقابات الإسلامية من تلقاء

يجمع الأساتذة المتقدمون ، ويتناقشون في الرهشعين الغالبين للارتداد فإن لم يثقفوا على شيء معين شيخ المشايخ شيخاً على كل حال . ثم يثبت شيخ المشايخ الشيخ الجديد في حفلة خاصة . كان للشيخ مساعد يسمى شاويش ، وعلاقته بالشيخ كملافة النقيب يمشي المشايخ مع هذا الفرق الهام وهو أنه بينما كان النقيب يمين بواسطة شيخ المشايخ كان للشاويش لا يمين إلا بموافقة المتحيين . ولم تكن للشاويش سلطة خاصة . بل كان مثلاً ، وضابط تنفيذ لشيخ الحرفة . ويجزينا قدسي أن منصب شاويش قديم جداً ولكن الاسم حديث

يستغل البتدي من غير أجر لمدة سنوات حتى يصل إلى سن الرجولة ، وتصبح له مهارة في الحرفة (على كل كان الهض ينال أجراً أسبوعياً زهيداً حسب ما يستحق) . ثم يصبح بعد ذلك صانعاً ، فإذا لم يتقن حرفه ويتقدم إلى أستاذ بقيت أجوره وأعطته ومنع من الاشتغال لحسابه الخاص

كان الصانع في زمن قدسي يشكون هيكل الطائفة ، وكانوا أكثرية عظيمة . ونجربنا أنهم كانوا حافظي سر الطائفة ونافلي أسرارها إلى ما يلهم

ثم يعفى قدسي في وصف معلول لحفلات الإجازة . يدخل في ذلك الحين والحفاظة على أسرار الطائفة والصنع الجيد ، وكذا الرسوم والقوانين التي تتعامل كل مظهر من مظاهر حياة رجال الطائفة مع كل اللامات والإشارات المعمول بها . وأخيراً يشير قدسي إلى التشابه بين هذه الحركة وبين الماسونية الحرة في أوروبا متسائلاً عما إذا كانت هناك علاقة بين الاثنين<sup>(٣)</sup>

يكفي ذكر بعض الملاحظات عن الطوائف المصرية حيال هذا الوقت لتبين بعض الاختلاف ، فشيخ المشايخ غير معروف هنا . وإنما نجد الطوائف تحت رئيس البوليس ... كان رئيس الطائفة (ويدعى هنا شيخ للطائفة) سلطة نظارة المهال وتسمية الخلافات فيما يتعلق بمهمهم ومعاينة الخططين<sup>(٤)</sup> وكان يدعو مجلساً من المختارين

(١) بهذه المناسبة لا نجد ماناً من ذكر علاقة عربية بين الماسونية الحرة والنقابات الإسلامية . في أوائل القرن التاسع عشر أدى بعض الفرنسيين في سوريا بأنهم اكتشفوا شيئاً بين رسوم الماسونية الحرة وبين رسوم البروز ، ولما كان البروز من أصل إسماعيلي وتتميز الإسماعيلية على النقابات الإسلامية عظيم كما ذكرنا نجد العلاقة ذات أهمية ، بينما يتر (فرن هر) نظام النقابات الأوربية مشتق من نظام النقابات الإسلامية (٢) من ١٥ ينكر ملاحظ آخر لنقابات القاهرة وجود هذا الصراط لاحظ

Martin Les Bagares du Caire, Paris, 1910

(١) يلاحظ السودي وجود نقابات قصور في بغداد ٩٥٩ م ، أنظر مروج الذهب طبعه باريس ١٨٩١ ج ٨ ص ١٨٩

(٢) ابن خلدون باريس ج ٣ ص ١٥٣ ، أنظر تليس إبليس لان المجوزي طبعة القاهرة ١٢٤٠ مجرسة ص ١٥٥ وما بعدها . قال لي البروفسور Coornet بأن مؤسسات من هذا القبيل ليست خاصة بالإسلام لوجود نقابات مشابهة لها في فرنسا في القسم الأخير من القرون الوسطى



غير موجودة<sup>(١)</sup>، لم تتطور أبداً إلى مثوة اجتماعية دون أصل في الارتقاء إلى رتبة أستاذ. فالتقافة الإسلامية تخلصها من التفريق الاجتماعي الداخلي<sup>(٢)</sup> الذي يقسم النقابة الأوروبية، حافظت على خاصيتها التي انطبقت بها عندما ظهرت في القرنين العاشر والحادي عشر، وهي المساواة بين أفرادها ككليقة في المجتمع في شكلها الخاص كشوة للمال ضد ارتفاع الرأسمالية الاقتصادية والتجارية عندئذ.

ثالثاً — والميزة الثالثة في الطوائف الإسلامية: هي كونها تضم أفراداً من مختلف الطوائف؛ فبينما أبدت الطوائف الأوروبية من صفوها حتى المسيحيين المختلفين المذاهب، نجد الطوائف الإسلامية مفتوحة لليهودي والمسيحي والسلم على السواء؛ بينما نجد بعض الطوائف الإسلامية تسودها الأغلبية النير مسلمة

رابعاً — وختاماً يجب أن نلاحظ أهمية الحياة الداخلية الروحية في النقابات الإسلامية؛ فكل العكس من الطوائف الأوروبية لم تكن النقابة الإسلامية تشكلاً مبرهاً قطعاً، فذ أن كانت النقابة تشكل جزءاً من نظام الدعاية الاستيعابية حتى الوقت الحاضر احتفظت هذه النقابات دائماً بمثلا المتأصلة فيها قوانينها الأخلاقية والأدبية التي كانت تدرس لكل المبتدئين في نفس الوقت الذي تمل فيه الحرفة.

(الرسالة): هاج الأستاذ برنارد موضوع الطوائف الإسلامية هاجاً حسناً، ولكن ضيف الترجمة من اللغة العربية وجعل ببعض المصطلحات التاريخية أصاباً للقال بقى من التفكك والفوضى.

(١) بالرغم من أن قدسي يقول أن الصانع يشكل هيكل النقابة نجب ملاحظة أن قدسي شاهد متأخر كتب بعد أن طرأ تغير كبير على النقابة. أما (أوليا) و (صدق) — صدق كاتب من النقابات في القاهرة — فلا يذكران هذا النصب

(٢) لاحظ Billoud من خصائص النقابة القطاعية المنكبة في فرنسا فهنا يشكل الأستاذ صفناً إقطاعياً ورأبياً يمدى كل العناصر الجديدة الغربية من صفته. فإذن هذا ينظر الأستاذ للرشعين للأستاذية في النقابات الإسلامية

### مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأمان الآتية:

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشاً، و ٧٠ قرشاً من كل سنة من السنوات: الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في مجلدتين.

وذلك مسداً أجرة البريد وفندرها حقة غروشي في الداخل وعبارة غروشي في السودان وعشرون قرشاً في الخارج من كل مجلد

نفسها، من الشعب، وتكونت لا إجابة لحاجة الدولة، بل إجابة لحاجات كتل المال أنفسهم، كما أن النقابات الإسلامية اتخذت خلافة قصيرة، إما عدواة مكثوفة للدولة، وإما عدم ثقة. وقبول ذلك بالكل من قبل السلطات العامة سياسية أو دينية. ويظهر مدى هذا الشعور ضد السلطات الحاكمة من بروز المفاجئ في القرن العشرين في الدور الهام الذي لعبته النقابات في الثورة الإيرانية، ومن التطور المريع للنقابات الإسلامية إلى كتلة ثورية في الهند الصينية. وفي الرابطة القوية بين هذه النقابات وبين الشيوعية الأوروبية<sup>(٣)</sup>. ولا ينقص قيمة هذا الاستنتاج منع بعض الأحرار السنيين وضماً مقيداً للنقابات للحصول على تأييدها كما لا يبنى وجود خلافاً في بعض الأحيان بين الحكماء الأوروبيين والنقابات كرون هذه المؤسسات أميرية

ثانياً: نتيج الخاصة الثانية لحياة النقابات الإسلامية أولاً ما ذكرناه الآن، وثانياً من حالة طرق الإنتاج التي لم تتغير في الأراضي الإسلامية منذ القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر. فلا يرجع في تاريخ النقابات الإسلامية ما يماثل الازدهار العظيم في النقابات الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، الذي انتعش بانقسام هذه النقابات إلى سادة وصناع: (طبقين مختلفين ومتعادين). وفي ارتفاع السادة السيامي والاقتصادي العظيم، وفي تنظيم نقابات خاصة للصناع كصلاح في فصال الطبقات للتعريف الذي نتج<sup>(٤)</sup>. أما في الإسلام، فقد بقي الأستاذ والمعيد والصانع والبعدى طبقة واحدة في المجتمع على اتصال شخصي قريب فترتبة الصانع وهي مؤتنة وانتقالية دائماً، وفي أكثر الأحيان

(١) أنظر Revue du monde Musulman Ixiii, lii, li. ولاحظ الأستاذ ماسينيون أن النقابات في فارس تحتفظ بروح اعتقاد خاصة ضد السلطة الحاكمة.

(٢) يوجد استثناء ذلك في أناضوليا في القرنين الثالث والرابع عشر فهنا نجد نسبا من الأستاذية في جبريات الأخوة (كما لاحظ كوبرول وتشتر) ظهر أنهم تطورا إلى نوع من الرأسماليين يشتمون بنفوذ اقتصادي واجتماعي، وهذا الانحياز يعطى شيئاً وازمى التطور البلدي في أوروبا، ولكنها على كل حال كانت محدودة الانتعاش ولم تتطور إلى درجة التصادم بين المال والأستاذية ج. وهي خاصة بأناضوليا حيث خلقت قوة النفوذ البيزنطي والمجرة التركية ظروفًا خاصة، وحتى هنا (أناضوليا) قضى على هذه الحركة خلافاً لتوى مركز السلطة المتأينة لذا فلا شيء. فالقوة الوقت المحلي لا يفسد صحة البسدا العام بينا يتغير — (تشتر) — حركة الأخوة كحركة الطبقة المتوسطة صاحبة رأس المال بدل أن يتغير ظهور طبقة خوسطة من بين النقابات، وبضم اتحاد القوة والنقابات عدة قرون بعد ذلك